تفسير إبن كثير

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

يقول تعالى : (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه : (أغير الله أبغي ربا) أي : أطلب ربا سواه ، وهو رب كل شيء ، يربني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري ، أي : لا أتوكل إلا عليه ، ولا أنيب إلا إليه; لأنه رب كل شيء ومليكه ، وله الخلق والأمر .هذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل ، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له . وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرا في القرآن كما قال تعالى مرشدا لعباده أن يقولوا : (إياك نعبد وإياك نستعين) [الفاتحة : 5] ، وقوله (فاعبده وتوكل عليه) [هود : 123] ، وقوله (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) [الملك : 29] ، وقوله (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) [المزمل : 9] ، وأشباه ذلك من الآيات .وقوله : (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله ، أن النفوس

إنما تجازى بأعمالها إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد . وهذا من عدله تعالى ، كما قال : (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) [فاطر : 18] ، وقوله (فلا يخاف ظلما ولا هضما) [طه : 112] ، قال علماء التفسير : فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته . وقال تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) [المدثر : 38 ، 39] ، معناه : كل نفس مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين ، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذراريهم ، كما قال في سورة الطور : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) [الآية : 21] ، أي : ألحقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة ، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال ، بل في أصل الإيمان ، (وما ألتناهم) أي : أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة ، بل رفعهم تعالى إلى منازل الآباء ببركة أعمالهم ، بفضله ومنته ثم قال : (كل امرئ بما كسب رهين) [الطور : 21] ، أي : من شر .وقوله : (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي :

اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه ، فستعرضون ونعرض عليه ، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم ، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا ، كما قال تعالى : (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) [سبأ : 25 ، 26] .